روبرت بيرى

والقطب الشمالي

obeikan.com

خطيرة هى رحلات المكتشفين.. فهم يواجهون الصعاب.. والمخاطر.. لكن أحلامهم لا تتوقف.. وكم يسعدون ويفرحون حينما يبلغون ما حلموا به.. وهم قد اعتادوا على الصبر.. ورفضوا اليأس.. وتحدوا محنهم.. وأخلصوا للبشرية حينما قدموا لها الجديد فى عالم الاكتشاف.

وهذه قصة مكتشف أصر على الوصول إلى قمة العالم الشمالية حتى تجمدت أقدامه فوق الجليد.. لكنه لم يتوقف.. ورفض أن يعود إلى أمريكا لكى ينال علاجاً لأقدامه المتجمدة.. وخشي ألا يعود.. وألا يكون له شرف الاكتشاف فظل صابراً على تجمد أقدامه حتى حقق أحلامه.

ولد روبرت بيرى فى بلدة كريسون بولاية بنسلفانيا عام ١٨٥٦م فى أسرة متوسطة.. وتلقي دراسته.. ثم التحق بالجيش بوصفه مهندساً بحرياً عام ١٨٨١م.

حينما بلغ روبرت عامه الثلاثين (١٨٨٦م) قدم طلباً لقائد البحرية الأمريكية لاقتحام جزيرة جرينلاند.. وقام بأول مهمة.. واندفع بالزحافات لمسافة ١٦٠ كيلو متراً فى جليد الجزيرة الكبيرة.

وفى عام ١٨٩١ كلفته الأكاديمية العلمية فى فيلادلفيا بمهمة جديدة.. فقاد حملة أخرى قاصداً أقصى شمال جرينلاند.. وفى أثناء هذه الحملة وصل روبرت وحملته إلى خط عرض٨٢.

ثم قام عامي ١٨٩٣ و١٨٩٥ بحملتين أيضاً خلال الجزيرة.. كان هدف روبرت بيري الوصول إلى القطب الشمالي قمة العالم.

وفى عام ١٨٩٧م أسس روبرت بيري (جمعية بيري القطبية) بهدف محدد هو الوصول إلى القطب الشمالي.

وتبدأ الجمعية عملها فى إخلاص وعزيمة.

ويلاقي روبرت وأصدقاؤه المشاق الصعبة فوق الجليد.. والحرمان من النوم والراحة خلال رحلة البحث.. لقد كانوا يصرون على تحقيق الحلم الكبير.

وفى عام ١٨٩٨م قام روبرت بحملته نحو الشمال وخلال هذه الحملة.. ونتيجة قسوة الطبيعة والإرهاق الزائد.. والتصميم على تحدي الزمن.. أصيب بيري بتجمد فى قدميه مما تسبب فى التوقف عن المضي فى الحملة.

لم تخمد عزيمة روبرت بيري أمام هذه المحنة المفاجئة.. لقد أحس بالألم يتسلل إلى قدميه حتى تجمدت عن الحركة تماماً.. بل نصحه أصدقاؤه بالتوقف والعودة للعلاج ثم استئناف الحملة إذا شاء.. لكنه رفض ذلك وصمم على الراحة قليلاً واستئناف المسير..

وفى شهر سبتمبر عام ١٩٠٩م – بعد رحلات عديدة قام بها روبرت بيري – تلقي نادي (بيري القطبي) رسالة تحتوى على كلمة واحدة هى: (شمس).

كانت هذه الكلمة هى التى اتفق عليها من قبل للإشارة إلى نجاح الحملة ووصولها إلى القطب الشمالي.. وكانت هذه هى المرة الأولي التى يضع فيها إنسان قدمه على تلك الرقعة من الأرض.. القطب الشمالي.

لقد اكتسب بيري فى رحلته صداقة الإسكيمو وثقتهم.. وجمع منهم حوالى سبعين شخصاً ما بين رجل وامرأة وشاب.. وحملهم مع ٢٥٠ كلباً على السفينة (روزفلت) ومعهم الزحافات وكل ما يلزمهم من أدوات للحملة القطبية.

وعندما وصل بيري إلى (رأس شيريدان) أنشأ مقر قيادته البحرية ثم اندفع فى شهر يناير ١٩٠٩م – ضارباً بآلامه عرض الحائط – ومعه ٢٣ رجلاً حتى (رأس كولومبيا) وهى أقصى نقطة إلى الشمال من أرض (جرانت).

ثم فى ٢٢ فبراير ١٩٠٩م بدأ يزحف مع رجاله لغزو القطب الشمالي وكان التقدم على ظهر القارب القطبي يتم على مراحل.. وبمجموعات متفرقة.

وحدث أن التقت المجموعات عند نقطة متوازية.. وكان لا يزال باقيا ٢٥٠ كيلو متراً للوصول إلى الهدف الكبير.

ثم انطلقت المجموعة التى يقودها بيري مباشرة ومعه خادمه الزنجي وأربعة من رجال الإسكيمو حتى وصلوا إلى القطب الشمالي فى ٦إبريل ١٩٠٩م.

لقد كانت المهمة شاقة ومرهقة.. خاصة على روبرت بيري الذى تزداد آلام قدميه كلما تقدم إلى الشمال..

وكانت الزحافات تتقدم بين البرد الشديد القارس.. ثم تتوقف لأن الثلوج كانت تتخللها يقع من الماء العميق.

وقد كتب بيري فى يومياته يقول:

– "ها هو القطب أخيراً.. إنه جائزة ثلاثة قرون.. إنه حلمي وهدفي وبغيتي خلال عشرين عاماً.. إنه صار أخيراً لي.. وبعد أن غرست العلم الأمريكي فى الثلوج.. هتفنا جميعاً هتاف النصر".

ويعود روبرت بيري إلى الوطن فيستقبل استقبالاً حافلاً.. ويمنح رتبة الأدميرال..

ويعيش روبرت بيري بقية عمره مستريحاً لتحقيق حلمه.. بالرغم من هذه الآلام التى يحس بها.. حتى آخر يوم من عمره ٢٠ فبراير ١٩٢٠ بالغاً من العمر أربعة وستين عاماً.